**المحاضرة 3: علم النّحو**

علم النحو من أجل علوم اللغة العربية التي ارتبط ظهورها بدافع خدمة القرآن الكريم وضبط القراءة الصحيحة له حتى لا تضيع معانيه في حال التساهل مع حركات أواخر الكلم، وهو علم متشعب المسائل مما يصعب أن نلم بمصطلحاته إلماما متناهيا في محاضرة واحدة. لذا ستأتي المحاضرة في شقين؛ تقديم للنحو تاريخيا، ثم عرض لمصطلحاته في ملخص يحتويه ملف مرفق.

**أمّا قبل:**

تجدر الإشارة في الأول إلى أن العرب لم يطلقوا كلمة نحو على علم النحو العربي المعروف لدينا، بل أطلقوا على هذا العلم عدة مصطلحات، ولعل أولها مصطلح "العربية"، وهذا واضح في أخبارهم، يقول محمد بن سلام (ت232ه) في هذا الشأن: "أول من أسس العربية (يقصد النحو) وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي..." وكذلك السيرافي (ت 386ه) حين يتحدث عن النحو يطلق عليه مصطلح "العربية".

واستعمل مصطلح "الكلام" محل النحو، ذلك مما ترويه بعض الأخبار عن أبي الأسود الدؤلي قوله: "هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام، فدخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام" يقصد قواعد اللغة. كما استخدم مصطلح "الإعراب" أيضا قبل النحو، عندما قال عمر بن الخطاب: "وليعلم أبو الأسود الدؤلي أهل البصرة الإعراب"

**مفهوم النّحو:** أما في اللّغة فبمعنى القصد والطريق مثلما ورد في لسان العرب لابن منظور، أما في الاصطلاح فقد عرفه جملة من اللغويين القدامى والمحدثين نذكر منها:

هو علم بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء.

في أصل التسمية: هناك اتجاهان متباينان؛ اتجاه يمثله بعض المستشرقين والمؤرخين العرب، وآخر يمثله جمهور المؤرخين واللغويين العرب. أما الاتجاه الأول فيرى أن اصطلاح النحو مأخوذ عن السريانية التي أخذته هي عن اليونانية وهو مذهب ضعيف الحجة، لأن الروايات التي وصلتنا تؤيد رأي الاتجاه الثاني الذي يرى بأن مصطلح النحو عربي الأصل، ومن ذلك ما قاله ابن الجزري: "وعندما عرض أبو الأسود الدؤلي مسائل النحو على الإمام، قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت فسمي نحوا". وفي رواية: "أن الإمام عليا قال لأبي الأسود الدؤلي انحُ هذا فسمي نحوا".

**اللّحن ونشأة النّحو:** كانت كلمة اللحن معروفة في الجاهلية بدليل قوله تعالى: "ولتعرفنهم في لحن القول" أي في معنى القول، وهي الآية الوحيدة التي ورد فيها ذكر كلمة اللحن في القرآن الكريم، ثم استعملت هذه الكلمة لمعاني متعددة عند الرسول (ص) وصحابته، فالرسول يقول: "أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن" بمعنى الخطأ، وبنفس المعنى استعملها صاحبه الصديق حين قال: "لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن"، وعند عمر بن الخطاب نلفي المعنى ذاته في حادثة تروي أنه مر بقوم يرمون، فاستقبح رميهم، فقال: "ما أسوأ رميكم! فقالوا: نحن قوم متعلمين، فقال: لحنكم أشد علي من فساد رميكم".

وهذه الروايات تؤكد على وقوع اللحن في صدر الإسلام، لكنه لم يتطور ليكون ظاهرة متفشية إلا بعد دخول غير العرب في الإسلام بكثرة فكتب للحن الانتشار.

**المدارس النّحوية:** فيظل الحركة التي عرفها علم النحو وهو في طريقه إلى النضج ظهرت مدارس نحوية أشهرها مدرستان: البصرية والكوفية.

من أشهر أعلام المدرسة البصرية: أبو الأسود الدؤلي وتلميذاه، ابن أبي أسحاق، عيسى بن عمر الثقفي، أبو عمرو بن العلاء، يونس بن حبيب، الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه (صاحب أول كتاب في النحو، يطلق عليه الكتاب)..

ومن أشهر أعلام المدرسة الكوفية: الكسائي، الفراء، أبو العباس ثعلب، هشام بن معاوية الضرير..

والمسائل الخلافية بين المدرستين كثيرة، نذكر منها:

* الاستشهاد: المدرسة البصرية تتشدد في مسألة الاستشهاد لاعتماد القاعدة، فحددت مجالا زمانيا ومكانيا فقط يمكن الأخذ من لغة من يؤطّره المجال، أما الكوفة فلا.
* القياس: اشترط البصريون الاطراد في الاستعمال أما الكوفة فيبنون القاعدة على النموذج الواحد الشاذ.
* نِعم وبئس: عند البصريين فعلان وعند الكوفيين اسمان.
* أصل الاشتقاق: الكوفيون يرون الأصل في الفعل، والبصريون يرون المصدر أصل الاشتقاق.

هناك مدارس أخرى جاءت لاحقا لها إسهامه في تبسيط بعض المسائل النحوية والتوفيق بين المدرستين السابقتين على نحو المدرسة البغدادية والأندلسية والمصرية.